بعد عام على حكومة شارون..

الغزو الجديد: تحولات سياسية في اسرائيل تقف وراء المواجهة

شارون

وجهتا نظر وحوار

بالتعاون مع مركز الجليل للأبحاث في حيفا، نظمت «قضايا اسرائيلية» ندوة بعنوان «عام على حكومة شارون»، شارك فيها المؤرخ الدكتور ايلان بابيه، والكاتب ابراهيم مالك.

افتتح الندوة وأدارها الكاتب سلمان ناطور، عقدت في حيفا، يوم ٢٩ آذار ٢٠٠٢، وهو اليوم الذي بدأ فيه اجتياح مناطق السلطة الفلسطينية. فيما يلي ملخص لوجهتي نظر المشاركين:

سلمان ناطور: تعقد هذه الندوة صباح اليوم الذي أعلنت فيه اسرائيل حرباً مكثفة وتدميرية ضد السلطة الفلسطينية، مجندة ٢٠ ألفاً من قوات الاحتياط وحوالي مائتي دبابة تحاصر مدينة رام الله، ولا شك أن هذا الاجتياح العسكري سوف يشكل منعطفاً في طبيعة الصراع الفلسطيني الاسرائيلي وشكل التعامل المتبادل معه، ولكننا لن نتطرق إليه لأننا سنلقي الضوء على العام المنصرم منذ شكل أرئيل شارون حكومته ذات الطابع الوحدوي القومي الصهيوني باجتماع الحزبين القطبين، حزب الليكود وحزب العمل في حكومة واحدة، لا تقوم فقط على تقاسم الوظائف، بل على شراكة واضحة في مواجهة انتفاضة الشعب الفلسطيني التي

إيلان بابيه*: حركات الإحتجاج هي الأمر الوحيد الذي يبعث على الأمل.

انطلقت في عهد حكومة برئاسة حزب العمل.

ما الذي يميز هذه الحكومة، وما هي ملامحها العريضة؟

ايلان بابيه : سأتحدث عن ست نقاط أساسية، أو ست ظواهر برزت في السياسة الاسرائيلية في السنة الأخيرة وفي ظل حكومة شارون، وسأختصر نقطة سابقة، وهي عن الأقلية الفلسطينية في اسرائيل والتي تشكل مركباً في اللعبة السياسية الاسرائيلية، لأن الظاهرة البارزة في فترة حكومة شارون هي التهميش الشامل للعرب وقيادتهم السياسية واخراجهم من اللعبة السياسية، والغاء شرعية مشاركتهم السياسية.

الظاهرة الأولى، هي تقلص المساحة السياسية: في الدول الديمقراطية تفتح السياسة ساحة واسعة لتشكيلة الآراء والمواقف من اليمين واليسار والأحزاب الصغيرة والعقائدية وغيرها. يبدو لي أنه في السنة الأخيرة تقلصت الأصوات، هناك حديث بصوت واحد، وتفكير باتجاه واحد، وينحسر الحوار السياسي النقدي، وينعدم البحث عن بدائل سياسية. لقد حدث مثل هذا في بريطانيا وفرنسا وألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، حيث تتشكل قوة مركز بالتقاء اليمين واليسار لتكوين اجماع يجعل اتخاذ القرارات الصارمة في القضايا المصيرية أمراً صعباً ومستحيلاً.

في اسرائيل، المركز هو اليمين، إنه يمين قومي متعصب وأصولي وعنيف ويرفض المساومة في السياسة، واضح ان كل وحدة يهودية صهيونية اسرائيلية تعمق المواقف اليمينية على حساب البراغماتية بشكل خاص ضد الفلسطينيين والعالم العربي ومن يقف ضد الصهيونية وسياسة اسرائيل، هذا أمر خطير ومثير للقلق، لأنه ينشر في الوعي الإسرائيلي انطباعاً واحساساً بحالة طوارئ دون الاهتمام إذا كانت حقيقية أم لا، وهذا ما حدث في العام الأخير، ففي حالة الطوارئ يفقد المنطق السياسي.

الظاهرة الثانية: تبلور اليمين الروسي، هذه المجموعة التي أصبح لها ممثلون في الكنيست، أصبحت تفرض أجندتها التي تخدم مصالحها الضيقة والخاصة. لليهود الروس حزبان ممثلان في الكنيست وهما يقفان على يمين الخارطة السياسية الاسرائيلية، ولذلك فإن اليهود الروس أصبحوا قوة مؤثرة في السياسة والحزبان الكبيران، الليكود والعمل، بحاجة اليهم للوصول الى الحكم، ولذلك فإنهم سيدفعون أكثر باتجاه اليمين المتطرف.

الظاهرة الثالثة : التفكك بين اليهود الشرقيين ومشاكل حزب «شاس»، لقد ظهر واضحاً في السنة الأخيرة أن حزب «شاس» لم يخدم جمهوره في القضايا الاجتماعية والاقتصادية، وقد انشغل بالصراع على مراكز القوى وفي الفساد الذي انكشف في صفوفه، وفقد طابعه كحزب يخدم فئة محددة، أصبح جزءاً من المشهد الحزبي الاسرائيلي، وهذا يؤثر على مؤيديه، إذ إن العديد من اليهود الشرقيين يعودون الى الليكود.

من ناحية أخرى، هناك حركة من اليهود الشرقيين تطرح بديلاً يقود هذا الجمهور الى اتجاهات أخرى وهي المجموعة الشرقية الديمقراطية، التي تشكلت من مثقفين شرقيين ومع انها ما زالت هامشية إلا أنها تطرح البدائل، ولا يعرف كيف ستتطور وتؤثر، إلا أنها قائمة.

الظاهرة الرابعة : انها ليست جديدة ولكنها تعمقت في السنة الأخيرة، وهي التعصب القومي بين اليهود الأصوليين (الحريديم).

المعسكر الديني كان منقسماً إلى قسمين: الأول كانت أجندته دينية صرفة ميثولوجية، وليست قومية، أي ان قادة هذا المعسكر كانوا يطالبون باقامة مجتمع ديني ثيوقراطي بغض النظر عن الحدود ودون الصهيونية، ودون أية علاقة بالصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي والاستيطان، والمعسكر الثاني، هو المعسكر الديني القومي الذي يطالب بأرض اسرائيل الكبرى، وفي الوقت نفسه تطبيق قوانين الدين على الدولة اليهودية.

في العام الأخير، في ظل حكومة شارون، أصبح المتدينون الأصوليون المتزمتون (الحريديم) يتجهون نحو المواقف القومية وصاروا يتبنون مواقف المتدينين القوميين المؤيدة للاستيطان والمعادية للعرب، لهذا التحول سيكون تأثير كبير على الخارطة السياسية الاسرائيلية في المستقبل القريب والبعيد.

الظاهرة الخامسة : اختفاء اليسار الصهيوني، لا يوجد يسار صهيوني، وقد انكشفت حقيقته في السنة الأخيرة، إذ يستحيل أن يكون يساراً وصهيونياً في الوقت نفسه، تماماً مثل تربيع الدائرة. لقد مارس هذا «اليسار» طوال الوقت ما أسميه «غسل الكلمات»، إذ حاول تبييض احتلال بأنه «احتلال متنوّر»، وتبييض السلاح بما يسمى «طهارة السلاح»، واقامة دولة دينية، ويسميها «ديمقراطية». هذا اليسار لم يضع على جدول أبحاثه القضايا الاجتماعية والطبقية منذ أكثر من عشرين عاماً، إنه يتشكل من قوى ليبرالية الى حدٍّ ما، على استعداد لتقديم «تنازلات» للفلسطينيين والعالم العربي، يريد سلاماً مع العرب، لكنه ليس شاملاً، دون حروب لكن دون سلام، دون الاحتلال ومع الاحتلال، دون الديمقراطية ومع الديمقراطية، وفي السنة الأخيرة وجد هذا اليسار نفسه أمام السؤال الصعب: إلى أين أنتم سائرون؟.

الظاهرة السادسة والأخيرة: حركات الاحتجاج، هذا هو الأمر الوحيد الذي يبعث على الأمل والتفاؤل، في العام الأخير ظهرت حركات يسارية تختلف عن اليسار الذي عرفناه مثل حركات النساء المناهضة للحرب والاحتلال وحركة رافضي الخدمة في الجيش، رغم التعتيم المفروض على

*إيلان بابيه: محاضر في قسم العلوم السياسية بجامعة حيفا.

إبراهيم مالك*: يجب ألا ننسى الدور الأميركي.

هذه الحركات في وسائل الإعلام الاسرائيلية، ما يحد من انتشارها، إلا أنها أصبحت تشكل ظاهرة متميزة ولها مؤيدون في أوساط مختلفة في المجتمع الاسرائيلي.

ابراهيم مالك : أرجو أن أؤكد في البداية ان أرئيل شارون، هو نتاج التحولات السياسية في المجتمع الإسرائيلي. لقد انتخب ديمقراطياً وهذا عنصر يجب أن نأخذه بعين الاعتبار.

شارون في خارطة النخب الاسرائيلية، هو شخصية مركبة جداً فهو عسكري وسياسي صاحب مشروع استيطان وصاحب مشروع سلام، إنه براغماتي ومع أنه نشأ في حركة العمل «حزب مباي» إلاّ أن قيادة هذا الحزب عملت على اقصائه من مراكز القرار الأساسية: أبعد عن قيادة الأركان، وكانوا يستفيدون منه في اندفاعه العسكري والقمع ولكنهم تعاملوا معه بحذر وشك. كان مجد شارون الأساسي في الخمسينيات عندما أنشأ الفرقة ١٠١ التي كانت الأساس في اقامة الوحدات النخبوية في الجيش الاسرائيلي. هذه الشخصية جعلت أوساطاً في المجتمع الإسرائيلي تتصور أن شارون يمكن أن يحقق الأمان والسلام، فشارون الذي أقام مستوطنة «يميت» هو نفسه الذي أزاحها، إنها تعتبره قادراً على اتخاذ القرارات الحاسمة، وهو الذي يستطيع أن «يخرج الكستناء من النار».

أما بالنسبة لبراغماتيته التي هي انتهازية، فإن بعض الناس يقيّم شارون انه غير صادق ويقول شيئاً ويفعل شيئاً آخر، أعتقد أن شارون صادق بشيء واحد، بقناعته الأولى التي تبلورت في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات والتي تعتمد على موقفين: الأول: منطق القوة العسكرية، هو الوسيلة للتعامل مع الطرف الآخر- العرب. والثاني: حرب ٤٨ لم تنجز المشروع الذي ينسجم مع فكر شارون الاستيطاني، والحرب لم تنته بعد. كان مشروع شارون لاستمرار التعامل مع العرب، ليس التوصل الى سلام، بل فرض سلام، شارون لم يكن يعير قضية السلام اهتماماً مركزياً: وانما كان يعير الجانب الأمني الاهتمام المركزي، بالاضافة الى الاستيطان.

ما الذي أوصل شارون الى رئاسة الحكومة؟

أولاً : لقد أشار ايلان بابيه الى ذلك، ولكنني أريد التوقف عند مسألة اليهود الروس. هذه المجموعة لديها مصلحة في بقاء المناطق الفلسطينية ضمن دولة اسرائيل كمكان وحيز واسعين. اسرائيل في حدود ٦٧ هي مكان ضيق للعيش فيه، كذلك ان معظمهم من العلمانيين وليسوا صهيونيين ذوي نزعة قومية، وفي أثناء وجودهم في اسرائيل واحتكاكهم بالمجتمع والقضايا الاسرائيلية، بدأت تبرز عندهم الحاجة لأن يكونوا جزءاً من الاجماع القومي ليشاركوا في «تقاسم الكعكة». ان يكونوا جزءاً من الاجماع القومي يعني أن يكونوا في اليمين القائم على قناعات صهيونية ودينية.

هذه المجموعة التي تعد أكثر من مليون شخص، سوف تقرر كثيراً في المستقبل.

ثانياً : المجموعة الثانية، هي المستوطنون الذين يعدون اليوم أكثر من ٢٧٠ ألفاً، غالبيتهم العظمى كبار في السن وليسوا أولاداً. نسبة البالغين بين المستوطنين عالية، خلافاً للعرب، هذه المجموعة عملياً تحوّلت الى قوة تحاول جرّ المجتمع الإسرائيلي وربط كل مصالح هذا المجتمع بالاستيطان وكأن مصلحتها هي المصلحة القومية العليا لاسرائيل، ليس السلام وليس القضايا الاجتماعية. هذه المجموعة لعبت دوراً كبيراً في ايصال شارون الى رئاسة الحكومة الحالية التي شكلت على أساس تحالف يميني حول شارون.

ثالثاً : المجموعة الثالثة هي مجموعة اليهود الشرقيين، وللأسف، كنا نتوقع في السنوات الماضية أن يحدث تحول بين اليهود الشرقيين، مناقضاً للاتجاه الذي سيّره دافيد ليفي وبعكس التقوقع الديني الذي دفعهم نحوه أرييه درعي. كما يبدو هذان الزعيمان نجحا بشطب ما يجمعهم مع القوى العقلانية اليهودية، ومع العرب، وأصبح التركيز على الهوية الدينية.

هذا ما يتعلق بالوضع في داخل اسرائيل، أما العنصر الثاني الذي يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار وهو الدور الأميركي، لقد حاولت أن أراقب مصطلحات استخدمها رؤساء الولايات المتحدة منذ ريغان وحتى بوش، ونلاحظ تراجعاً باستمرار، فإذا كان ريغان يعتبر الاستيطان غير شرعي وعائقاً أمام السلام، فإن بوش يعتبره قابلاً للتفاوض.

الفكرة، وكأن اللوبي الصهيوني اليهودي في الولايات المتحدة هو الذي يقرر في السياسة الخارجية الأميركية، هذه الفكرة هي قراءة خاطئة لحقيقة السياسة الأميركية. فالولايات المتحدة هي التي تستخدم اسرائيل لتنفيذ مشروعها في المنطقة. النخب الحاكمة في اسرائيل تستفيد من الولايات المتحدة لتمرير مشاريع خاصة بها، وهي على الأغلب تنسجم مع المشروع الأميركي.

لنعد الى شارون، فإن مشروعه السياسي والعسكري هو اقامة وطن بديل للفلسطينيين، وبينما فكر في الماضي وخطط لاقامة هذا الوطن في الأردن، فإنه كسياسي براغماتي يبحث عن بديل لهذا البديل، وهو الدولة الفلسطينية على مساحة ٤٢٪ من الضفة الغربية وقطاع غزة، وهي منزوعة السيادة، وبلا حدود، ومجتزأة.

* باحث فلسطيني وصحفي من كفر ياسيف.

هشام نفاع

حوار مع البروفيسور يولي تمير

«لا أريد أن يحتلني أحد، ولا أريد أن أحتل أحداً»

بروفيسور يولي تمير تقف اليوم على رأس «مركز رابين» في تل أبيب، على اسم رئيس الحكومة الاسرائيلي الأسبق، اسحق رابين، الذي اغتاله يغئال عمير، وقد تولت وزارة «الاستيعاب» (الهجرة!) في حكومة ايهود باراك، التي أنهت أيامها مع اصرار رئيسها على التفاوض مع قيادة الشعب الفلسطيني بمفاهيم القوة والاملاءات، وليس بمفاهيم السياسة والعدالة (النسبية بالطبع).

في هذه الفترة التي يحتل فيها أرئيل شارون حكومة اسرائيل، والمشهد السياسي ـ العسكري الإسرائيلي، بكل ما يحمل الأمر من تداعيات خطيرة وآفاق تضيق الى حدود فوهات الدبابات التي تحاصر الشعب الفلسطيني ـ أجريت هذه المقابلة مع بروفيسور تمير، وفيها تظهر مواقف متباينة، ان كان من حيث الأمس واليوم، أو من حيث النظرة الواقعية للحالة الخطيرة الراهنة، أو بخصوص جرأة المثقف الاسرائيلي من التيار المركزي حين يرتدي قبعة السياسي التنفيذي.

*** منذ تفجر مفاوضات «كامب ديڤيد» وما يعنيه ذلك ضمن محطات العلاقة الاسرائيلية مع الشعب الفلسطيني، ما هو الذي تغير برأيك في الحالة السياسية؟.**

ـ من ناحية التسوية المحتملة في «كامب ديڤيد» لا أرى أن الكثير تغير، فقد كانت هذه كما اعتقدت في حينه، واليوم أيضاً، تسوية معقولة. وبالمناسبة كنت مقتنعة بوجوب التوصل الى تسوية كهذه قبل «كامب ديڤيد» أصلاً. وفحوى تسوية كهذه هو انسحاب اسرائيل الى أقرب ما يمكن من حدود (١٩٦٧) وابقاء أقلّ ما يمكن من مستوطنات.

*** مع ذلك، فقد جرى تسجيل فشل، لماذا؟ برأيك؟.**

ـ لقد فشلنا كثيراً، وما جعل هذا أكثر مرارة، هو حقيقة أن باراك قدّم أكثر الاقتراحات اقتراباً من رؤيا التسوية المذكورة ـ ويقال هذا في اشارة الى الاعتراف بدور باراك.

*** بما أنك تتحدثين عن فشل، فمن الذي يتحمل المسؤولية عنه، وتعرفين طبعاً الرواية الرسمية الاسرائيلية التي تحمّل الرئيس الفلسطيني المسؤولية كاملة؟.**

ـ الفشل هو فشل الجميع، جميع الاطراف، عرفات أخطأ حين لم يحاول فحص اقتراح باراك، فالاقتراح كان على أجندة المفاوضات، وكان بإمكان الزعيم الفلسطيني القول إنه مستعد لفحصه. ولكن هذا لم يحدث،

بالنسبة لباراك فإن مسؤوليته هي انه لم يقم بخلق أي جو للحوار الحقيقي مع عرفات، وبالتالي فإن «كامب ديڤيد» لم تكن مفاوضات بما تعنيه الكلمة من معنى. لقد كان الطرفان في المكان نفسه، لكنهما لم يديرا مفاوضات، فباراك فشل أيضاً بكونه عاجزاً عن التواصل وخلق الاتصال المشترك على الصعيد الشخصي مع المفاوض الفلسطيني وخلق حالة من الحوار.

*** كلماتك تجسد حالة من المأساة على الصعيد الشخصي بالنسبة لباراك..**

ـ نعم، إنها حالة مأساوية، وهذا يرتبط بأن الرئيس الأميركي بيل كلينتون وعرفات اعتقدا، أنهما يعرفان كل شيء، وهكذا فقد ساهما بدورهما في خلق حالة مستحيلة، أشبه بالمعضلة.

*** أرى.. إنك لم تشيري ولو بكلمة واحدة الى القضية التي انتجت حولها أكوام من التحليلات في سياق فشل القمة. أقصد قضية اللاجئين.**

ـ أنا أعتقد أنه لو كان هناك ثقة متبادلة، ولو كانت مفاوضات حقيقية، لو ان الحوار كان حقيقياً لكان بالإمكان اتخاذ قرارات بشأن المسائل المتعلقة بتوقيت الحلول، افتقر الأمر للدافعية لدى الأطراف، وهو الأمر الذي غاب في «كامب ديڤيد». وباعتقادي ان كل القادة كانوا غارقين في مصالحهم السياسية الداخلية الضيقة. أي أن مصالحهم الشخصية وتصوراتهم الذاتية لأنفسهم منعت التوصل إلى أي اتفاق.

*** من هذه النقطة جاء الانفجار، فلماذا وقع في تشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠٠، هل توافقين مع رواية اسرائيل الرسمية في أن الرئيس الفلسطيني خطط للأمر، على ما تحمل هذه الرواية من تسطيح واضح؟.**

ـ هذا سؤال يشغلني كثيراً في الحقيقة، صحيح ان دخول شارون الى الحرم كان من شأنه اثارة الأوضاع، ولكن لا يمكن تفسير انتفاضة كهذه بالاستناد الى حدث واحد وحيد، ولو ان عرفات هدّأ الأوضاع لكان بالإمكان العودة الى المفاوضات، وإعادة المجتمع الاسرائيلي الى جوّ من التفاوض. ولكن ما حدث هو أن الرأي العام الاسرائيلي ـ بمعظمه ـ توصل الى قناعة بأنه لا يمكن العودة الى التفاوض.. في هذه المرحلة كان كل شيء مفتوحاً: بانعدام أي حل يحل القتل والانتحاريون.

فمن التفكير بالحل أو بالتسوية انتقلنا الى الأحقاد والانتقام، وبالتالي فإن الطرفين يساهمان في اضعاف الاحتمالات بالتوصل الى تسوية. لذلك فأنا أنظر الى هذه الفترة كما لو أنها مضيعة، وكل ما فيها زائد ومجاني.

*** والآن، ما العمل؟ هل ستظل الأوضاع عالقة في مكانها الدامي؟**

ـ لا يوجد الآن أي قائد شجاع يعترف بوجوب التوصل الى الاستنتاج بأنه سقط ما يكفي من القتلى، ويجب انزال فوهات البنادق والعودة الى التفاوض.. للأسف كل شيء يأتي اليوم من الغرائز، وليس من العقول.

*** يبدو أنه يجب التذكير بالمعادلة الصعبة: لا يوجد تكافؤ في هذه الأزمة الخطيرة، بل إن هناك من يمارس الاحتلال وهناك من يعيش تحت وطأته؟.**

ـ هذه حقيقة بلا شك، وأنا أعلم ان الفلسطينيين يقولون: نحن نرفض العمل حسب شروطكم.. وإلخ، مع ذلك فالمشكلة أنه لا جدوى الآن، في المكان الذي وصلنا إليه، من المباشرة بخطوات غير متكافئة، رغم ان الوضع غير متكافئ، فأية عملية غير متكافئة باتت مستحيلة الآن، وأقول بصراحة انني أفكر الآن بمفاهيم سياسية وعملية، وليس بمفاهيم أخلاقية مطلقة، لا مفر! يجب أن نبدأ من المكان والزمان الذي نعيش فيه.

*** تقصدين أن النافذة اياها، لو استعملت مفاهيم الولايات المتحدة الرسمية، ضيقة بشكل مقلق؟.**

ـ أولاً، الاحتمالات ضعيفة جداً مع الحكومة الاسرائيلية الحالية، والى هذا يضاف عدم وجود وقفة جريئة وواثقة لليسار الاسرائيلي. فلا توجد أية توجهات جدية الى قلب الرأي العام في اسرائيل مفادها اننا خرجنا عن كل القواعد.. لقد نشأ وضع أصبح الحديث فيه عن العودة الى المفاوضات، رغم أنها فشلت، مستحيلاً، بينما لا تجد من يعارض

العودة الى الحرب، رغم ان الحروب حققت الفشل الذريع مراراً وتكراراً، وربما ان هذه المشكلة هي التي يجب مواجهتها الآن، وتزداد المسألة الحاحاً في ظل الحكومة الاسرائيلية الحالية، لأنها حكومة خطيرة جداً، وأنا أقول هذا كإسرائيلية تهمها الدولة ومصالحها، فهذه الحكومة قد تؤدي الى المساس بدولة اسرائيل بشكل جوهري.

*** ماذا تقصدين؟.**

- أنا أؤمن بأن الاستيطان والاحتلال هما العاملان اللذان قد يدمران اسرائيل سياسياً، اقتصادياً واخلاقياً، أنا أريد أن تظل هذه الدولة يهودية وديمقراطية، مع الاشارة الى أنه يمكن الحفاظ على مكانة الأقلية العربية في الدولة ضمن حالة من الاتفاق الشامل في الشرق الأوسط. وهذا الأمر ممكن فقط بشرط العودة الى حدود (١٩٦٧) وتفكيك مستوطنات. وهذه الحكومة لن تقوم بهذه الخطوات، إذاً، فشارون ورفاقه يقودون الأمور الى وضع يحوّل اسرائيل الى دولة ثنائية القومية وهذا سيء للطرفين، لنا ولهم.

*** أصدقاؤك في الحكومة: شمعون بيريس والآخرون؟.**

- نعم، ولكن يمكن لهم أن يجيبوك على هذا السؤال. أما أنا فأرى انهم مخطئون.

*** لحظة، أريد أن أجازف: ما السيء في دولة للشعبين؟**

- هذا سيء جداً، في هذه المرحلة للطرفين، أنا لا أتحدث باسم الماضي ولن أتحدث باسم المستقبل. ربما انه بعد (٥٠) عاماً سيكون بإمكاننا التوصل الى كونفدرالية، ولكن في وضعنا الحالي هذا سيء. أصلاً أنا أعتقد أن تاريخ نشوء القوميات أثبت لنا أنه من الخطأ القفز عن مراحل. هذا مستحيل، انظر الى فرنسا وألمانيا، لقد استغرقهما الوقت سنين طويلة حتى التوصل الى حالة من اللاحرب، بما في ذلك عدة حروب بينهما.

تمير تضيف بين الجد والهزل: لو كانوا يقولون في حكومة اسرائيل الحالية انهم يريدون التوصل الى دولة ثنائية القومية، لكنت قلت لنفسي إن هذا يستحق التفكير. ولكن هذا بعيد عنهم بالطبع، فما يشغلهم هو أفكار كالترانسفير وما شابه.. هذا مصدر الخطر الحقيقي.

*** رأيت آخر الاستطلاعات بشأن الترانسفير: ٤٧٪ يؤيدون طرد الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة، و ٣١٪ يؤيدون طرد الفلسطينيين في اسرائيل أيضاً (هآرتس، مطلع اذار)، ألا يثير هذا فيك خوفاً؟.**

- بالطبع، هذا يسبب لي القلق والخوف، وخاصة اتساع رقعة الشرعية في الرأي العام الاسرائيلي لأفكار كهذه.. انظر، ان الصهيونية هي حركة غريبة بعض الشيء، فالصهاينة الكبار الأوائل لم يعرفوا أين تقع أرض اسرائيل، ولم يأتوا بدافع التسبب بغبن. فمن أوروبا بدت لهم البلاد فارغة ويمكن الاستيطان فيها دون أية مشكلة. ومن خلال هذا العمى أرادت الصهيونية أن تكون على حق، وأسوق هذه النقطة للمقارنة: فاليوم قام جيل صهيوني يريد فصل الصهيونية عن العدالة. وهذا من شأنه الاجهاز على الحركة الصهيونية. وأقولها بوضوح: أنا صهيونية، ولكن إذا كانت الصهيونية ستعني الترانسفير فأنا لست هناك.

*** تقصدين أنه لا توجد صهيونية واحدة، واضحة، مفهومة ومتفق عليها اليوم؟.**

- بداخل كل حركة قومية هناك العديد من المواقف، فالصهيونية الكلاسيكية ـ مثل ثيودور هرتسل، أحاد هعام، وحتى زئيف جابوتنسكي ـ كانت حركة قومية فيها رادع أخلاقي معين..

*** وكيف غاب هذا الرادع، حتى وفي أية ظروف ـ استناداً لرؤيتك في عرض الأمور؟.**

- لقد سقط هذا الرادع بالأساس بسبب الاحتلال، لأننا خلقنا وضعاً أصبح يعني وكأنه حتى نحافظ على وجودنا فيجب أن نطرد الشعب الآخر.

*** ماذا بشأن العام القاصم بأحداثه ونتائجه على الشعب الفلسطيني، أقصد العام (١٩٤٨)؟**

- كما أننا نحكم على الأفراد، فهكذا أيضاً يمكننا الحكم على الشعوب، فشعب في الظروف التي كان يعيشها الشعب اليهودي العام (١٩٤٥) لديه تبريرات وتسويغات مختلفة عمّا كان الوضع عليه العام (١٩٦٧). فبعد الكارثة التي ألحقتها النازية باليهود نشأ وضع من المستحيل فيه أن يظلوا دون دولة. ومرة أخرى، هذا يختلف عن الوضع الذي نشأ العام (١٩٦٧)، فقد كان لدينا دولة قادرة على التطور.

*** لا أدري إلى أي حد سيقنع هذا التمييز بين الحالتين، ذلك الفلسطيني الذي دفع ثمن جريمة لا علاقة له بها؟.**

- مَن يهرب خوفاً على حياته، من يفرّ خوفاً من الموت ويمس بالآخرين بالإمكان تفهمه، مع أنه من المستحيل جعل هذا قيمة أو مثلاً للاحتذاء، أقول هذا بصراحة مع التأكيد ثانية على الفرق.

*** لربما انك تطرحين الآن قصتك كيهودية وكصهيونية كما عرفت نفسك، هل يجب ان تلزم هذه القصة الطرف الآخر، ولو كنت تظنين أنك على حق؟.**

- باعتقادي ان كلا القصتين صحيح، القصة الاسرائيلية التي تقف في مركزها مقولة انه «لم يكن لدينا مفر»، لا تلغي حقيقة أنه كان هناك طرد جماعي للفلسطينيين العام (٤٨)، مع ذلك ففي العام (٤٨) كانت اقامة دولة اسرائيل بمثابة ضرورة أمام اليهود والحركة الصهيونية. هذا لا يعني أن كل شيء كان على ما يرام. كلاّ، وأنا اعترف ان هذا كان رديفاً للمصيبة التي حلت بالفلسطينيين، فقد اضطروا لدفع ثمن الجريمة التي لحقت باليهود في أوروبا.

ـ عندما يحارب الفلسطيني من أجل التحرر، فإنه لا يقدم على أمر غير أخلاقي، هذا حقه، ولكن هناك أخطاء، برأيي في الأسلوب الذي يعتمده الفلسطينيون، مثل المساس بالمدنيين، وبمن هم ليسوا في ساحة الحرب، فهم بهذا يمسون بالمصلحة الفلسطينية نفسها لأن هذا يعقد امكانيات اقناع الجمهور الاسرائيلي بوجوب التفاوض والحوار، وبوجود من يمكن التفاوض معه.

*** توافقين على الصعوبة الكبيرة في أن تكون ضحية للضحية بالذات؟.**

ـ نعم، وأنا أرى أننا معاً ضحية لأوروبا..

*** مع ذلك فإن كرة السلة الاسرائيلية مثلاً، تابعة لأوروبا؟**

ـ أنا أرى أننا جزء من العالم الثالث، ونحن ندفع ثمن هذا.

*** أنت تقولين أمراً يصحّ اعتباره ثورياً، اسرائيل جزء من العالم الثالث؟.**

ـ أنا أؤمن أن أوروبا قامت بجريمة تجاهنا، أحياناً يسألونني: كيف سنصل الى تسوية مع الفلسطينيين، أهذا ممكن؟ وجوابي دائماً هو أننا وصلنا الى تسوية مع الألمان! ألا نتعاون معهم اليوم؟! وهذا يعني أن التاريخ أقوى من اللحظات والفترات الراهنة.

*** سأعود الى الصهيونية، فهذه، بنظر كثيرين، وليس من الفلسطينيين أو العرب وحدهم، هي حركة استعمارية، كيف تنظرين الى هذا الموقف، خاصة انه يمكن استحضار الكثير من الحجج من نصوص صهيونية، تحمل في طياتها مدلولات لا تختلف كثيراً عن الخطاب الاستعماري الأوروبي التقليدي؟.**

ـ هذا يعكس برأيي عدم فهم للصهيونية، هناك بلبلة من النوع المثير للاهتمام! فحين تحدثت عن حالة العمى التي سادت الحركة الصهيونية تجاه الشعب الفلسطيني تحدثت عن عمى استعماري واضح. فهم فكروا بمساحة الأرض هذه دون التفكير بأهلها، وأيضاً، فإن آباء الحركة الصهيونية كانوا استعماريين في رؤيتهم، مع ذلك فالصهيونية لم تنجح في مشروعها لأنها استعمارية، بل لأنها مثلت قضية شعب مُلاحق. فالغالبية هربت الى البلاد، ولو ان الأمر ظل مرتبطاً باليقظة الفردية لليهود لما قامت هذه الدولة، أصلاً، معظم الهاربين الى هنا لم يفكروا بمصطلحات الصهيونية، وهناك جزء كبير توجه الى أميركا، لقد أرادوا فقط أن يعيشوا.

*** ماذا بشأن ملف الاعتراف بالمسؤولية، بمسؤولية ما الحقته الحركة الصهيونية من غبن بالفلسطينيين؟.**

ـ أعتقد أن اقامة دولة اسرائيل كانت أمراً يتماشى مع العدالة، أمر مبرر، ولكننا الحقنا غبناً بشعب لم يكن هو الذي ألحق الغبن بنا، هذا الغبن الذي ألحقناه كان ضرورياً، لأنه لا يمكن مطالبة أي شعب بالانتحار. هذا شيء يجب قوله، ولكن عدم الاعتراف بالغبن الذي ألحقناه بالشعب الفلسطيني هو عمى، هذا واجبنا.

*** مع ذلك فلا تزال القصة الاسرائيلية حول (٤٨) تعج بأساطير البطولة فقط؟.**

ـ هذه هي الحالة النموذجية التي يكون فيها التعاطي مع التمثيلات التاريخية محقاً. لقد كان شيء بطولي في العام (٤٨). مع ذلك كانت هناك جرائم أيضاً، وبالنسبة للفلسطينيين كانت هناك مصيبة لحقت بهم، ولسنا وحدنا في هذا القارب، انظر الى الولايات المتحدة، اعترف ان هذا الأمر يبعث على الاحباط، فالأمور مختلطة ومركبة.

*** بما أننا نتناول أساطير البطولة، تعالي نتحدث عن الجيش أو بالأحرى عن مفهوم الجيش بكل سطوة حضوره في المجتمع الإسرائيلي، ألا تقلقك المكانة شبه المطلقة التي تحتلها المفاهيم العسكرية في مجتمعك؟.**

ـ هذا الأمر يقلقني، ولكن طالما لم ينته النزاع، هناك ضرورة لجيش قوي، فقط الشعب القوي معه ينجز السلام، فلا يمكنني أن أكون عمياء تجاه مخاوف شعبي من الانسحاب الى حدود (٦٧)، هذا الأمر ليس سهلاً وهناك حاجة في الاستناد الى قوة، ولكن إذا كان الاستناد الى القوة سيعني مواصلة الحروب، فإننا سنخطئ الهدف والمصلحة.

*** ثمن هذا واضح، كما اعتقد، وهو يتبدى جلياً في عسكرة السياسة الاسرائيلية بكل ما يحمله هذا من تداعيات..**

ـ الدولة التي تعيش مع عدد كبير من الجنرالات تفسح لهم مجالاً للتأثير الكبير على الرأي العام. لا يمكن أن نكون لا مبالين تجاه هذا الوضع، وأنا واعية للثمن، فلا توجد هناك آذان صاغية في اسرائيل لخطاب حقوق الإنسان، وآمل أن نتجاوز هذا الوضع بتجاوز الوضع السياسي المعقد.

ـ أرى أنك تنتهجين الواقعية السياسية أكثر من اللازم؟.

ـ ربما ان هذا من علامات الجيل.. أو، بجدية، من علامات النضوج، أنا لست من أتباع تيار المعاداة المطلقة للحروب، لست مثالية في هذا

الشأن، لا أريد أن يحتلني أحد، ولكني لا أريد أيضاً أن أحتل أحداً.

*** بما أنك واقعية الى هذا الحدّ، فلا شك أنه سيكون بإمكانك تفهم المقاتل الفلسطيني الذي يرى انه منخرط في حرب على التحرير؟.**

ـ عندما يحارب الفلسطيني من أجل التحرر، فإنه لا يقدم على أمر غير أخلاقي، هذا حقه، ولكن هناك أخطاء، برأيي في الأسلوب الذي يعتمده الفلسطينيون، مثل المساس بالمدنيين، وبمن هم ليسوا في ساحة الحرب، فهم بهذا يمسون بالمصلحة الفلسطينية نفسها لأن هذا يعقد امكانيات اقناع الجمهور الاسرائيلي بوجوب التفاوض والحوار، وبوجود من يمكن التفاوض معه.

*** سأسألك سؤالاً صعباً: ماذا بشأن العمليات الفلسطينية ضد جنود اسرائيليين؟.**

ـ هذه حرب، ففي الحرب يمكن تفهم المقاتل الذي يحاول المساس بقاعدة عسكرية، وهذا مع أن الأمر ليس سهلاً على الجمهور الاسرائيلي، ليس من السهل عليه رؤية جنود يقتلون. انظر الى حرب لبنان، لقد كان من الصعب رؤية مقتل الجنود، ولكن تلك العمليات كانت مشروعة، وهذا يختلف عن اقتحام قاعة أعراس أو باص مدني أو مطعم، فالحروب أيضاً لها قواعدها، وإذا حافظ الفلسطينيون على قواعد الحرب، فإنني متأكدة من أن الجمهور الاسرائيلي سيبدأ بالنظر الى الأمور بشكل مختلف، وأعتقد أن على القيادة الفلسطينية ان تنظر بجدية الى هذه النقطة.

*** قد يقول لك فلسطيني.. ما التالي: الجيش الاسرائيلي يمس يومياً بالمدنيين الفلسطينيين، ولذلك فإنه مضطر للرد، وبما انه لا يملك ما يكفي من أساليب لمقاومة جنود يتمترسون داخل دباباتهم، فإنهم مجبرون على الرد بوسائل أخرى، لضرورات سياسية وحفاظاً على معنويات شعبهم.**

ـ المساس بالمدنيين غير مبرر حتى حين لا يكون بإمكانك اصابة جنود. مواجهة جيش قوي، هذا التكتيك خاطئ.. فكلما ازداد تمويه الحدود تصبح خسارة الطرف الضعيف أكبر، والمأساة ان هذا يحدث بعد أن لاحت فرصة جيدة للتسوية، ما يزيد الأمر صعوبة.

*** ما هي امكانيات خلق قنوات حوار بين المجتمعين، ولو كان الأمر عبر عرائض مثقفين مثلاً، أو ما شابه؟.**

ـ حين ترى عمليات ارهابية بشكل يومي، تزداد الصعوبة، أعتقد أنه يجب الخروج، من داخل الفلسطينيين، بموقف واضح وبصوت عالٍ ضد الارهاب، الطريق أمامنا هو اعادة الثقة بأن هناك مفراً، وهناك بديل للوضع الراهن.

*** ماذا بشأن الجانب الاسرائيلي، ألا يزال هناك أصلاً امكانية للتسمية، «معسكر السلام»، بينما قادته السياسيون يجلسون على طاولة القرارات مع شارون، هذا مع استثناء الحركات المبدئية المثابرة بالطبع، وهي حركات صغيرة ومحدودة كالمتوقع؟.**

ـ أمامنا اليوم معسكر صغير ومشتت، ولكني أذكر أننا كنا في فترات أصعب، ولذلك فلا أزال متفائلة.

*** متفائلة؟**

ـ بالطبع، لقد قالت غولدا مائير مرة: انه لا يوجد شعب فلسطيني، واليوم وصلنا وضعاً لم يعد فيه حتى بإمكان شارون ألا يستعمل مقولة دولة فلسطينية، رغم النقاش الحاد على مضمون ما يقوله، ولكن رغم ان الجانب الرمزي مهم.

*** تحدثنا عن الانتفاضة، وأريد التطرق الى ما شهده تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٠، بخصوص الفلسطينيين مواطني اسرائيل. (١٣) شاباً قتلهم رجال شرطة اسرائيل.**

ـ لقد تضررت البنية التحتية المشتركة للعرب واليهود بشكل بالغ في هذه الفترة. كما أرى الامور، فإن انعدام القدرة لدى المجتمع الاسرائيلي على فهم الغبن الذي ألحقه بالشعب الفلسطيني، هو الذي أدى الى شكل التعامل الخطير مع مظاهرات قام بها مواطنون عرب، ففي أكتوبر ٢٠٠٠، جرى تمويه الحدود، فلا يمكن أن تعلم جمهوراً أن يفرق في تعامله بين باقة الشرقية وبين باقة الغربية. وهذا يعود الى أحد الأمور الرهيبة التي انتجها الاحتلال، وأقصد تحويل العربي الى عدو، وبالتالي جعل الصراع لا نهائي. وهنا تأتي النظرة الى المواطن العربي، كجزء من النظرة الى العربي كحالة أو كموضوع. صحيح، انه كانت مظاهرات قاسية للمواطنين العرب في تلك الفترة، ولكن التعاطي معها كان خطيراً، فقد طفت في الذاكرة صور تمرد عربي في كل مكان. وهنا جاءت النتيجة مأساوية.

*** إذاً، فالتمثيلات والتجريدات فاقت الوقائع، تقولين؟**

ـ نعم، فيومها رأيت كم ان التخيلات السياسية بإمكانها ان تفوق الوقائع السياسية نفسها، فجأة انفجر كل شيء، واليوم نرى ما تكشفه لجنة أور التي تحقق في أحداث تشرين الأول/ اكتوبر ٢٠٠٠.. وأذكر كيف ان اصدقاء ومعارف لي من الناصرة اتصلوا بي وحدثوني كيف ان الشرطة تطلق الرصاص الحي، وان هناك قناصة في المدينة، وحين سألت عن ذلك في جلسة الحكومة (بتاريخ ٢٠٠٠/١٠/٩)، بحضور ايهود باراك، ووزير الأمن الداخلي، شلومو بن عامي، وقادة الشرطة الكبار قيل لي: إن هذا مستحيل، واليوم نعرف أن هذا غير مستحيل.

*** هذه النقطة هي التي تقودنا الى السؤال الشائك: تعريف الدولة أو هويتها؟.**

ـ أعتقد أن اسرائيل يجب أن تحافظ على هويتها، يهودية وديمقراطية، ولكن في الوقت نفسه يجب أن تعلن انها ملتزمة بمواثيق الأمم المتحدة بشأن حقوق ومكانة الأقليات، فهذه هي الطريق لتدعيم علاقة الدولة بالأقلية العربية فيها، وبالعكس، فالذهاب في طريق المعاهدات والمواثيق الدولية هو الضمان للحفاظ على مكانة المواطن العربي، حقوقه وكرامته.